رسالة ملكية إلى المشاركين في الدورة الخريفية لأكاديمية المملكة المغربية المخصصة لموضوع «القدس: نقطة قطيعة أم مكان التقاء»

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة سامية إلى المشاركين في الدورة الخريفية لعام 1998 لأكاديمية المملكة المغربية المنعقدة بالرباط ما بين 26 و28 نونبر 1998، حول موضوع «القدس: نقطة قطيعة أم نقطة التقاء».

وفي ما يلي نص الرسالة الملكية التي تلاها السيد عبد الوهاب بنمنصور، مؤرخ المملكة خلال الجلسة الافتتاحية للدورة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة والسيدات،

يسعدنا أن نتوجه بخطابنا هذا إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها الموسعة هاته التي يشارك فيها الاتحاد البرلماني العربي لمدارسة موضوع «القدس» معبرين بادئ ذي بدء، عن ترحيبنا بالمشاركين في هذا الملتقى الأكاديمي الهام حول موضوع يشغلنا ليس فقط بوصفنا رئيس لجنة القدس ولكن أيضا بوصفنا أحد قادة الدول الإسلامية الذين يشغلهم جميعا مصير هذه المدينة «المقدسة»، كما يشغل بال شعوبنا متطلعين إلى إنصاف الشعب الفلسطيني الشقيق بإقامة دولته المستقلة على أرضه المحررة وعاصمتها القدس الشريف.

حضرات السادة،

إنكم لتعلمون بأن عقد هذا الملتقى الهام بمشاركة صفوة من الأساتذة

والمفكرين المرموقين وأعضاء الاتحاد البرلماني العربي المحترمين لهو من أحب المبادرات إلينا وأشهدها صلة باهتمامنا وانشغالاتنا، الأمر الذي تجلى في كون المغرب ظل منتدى لكثير من اللقاءات الدولية حول القدس التي عقدت بمبادرة من جلالتنا أو تحت رعايتنا.

ولقد تقلدنا منذ سنة 1979 رئاسة لجنة القدس المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، فعملنا منذ نحو عشرين سنة على رأس هذه اللجنة لخدمة قضية القدس الشريف بإيمان واقتناع متتبعين خطى كفاح الشعب الفلسطيني الثابتة في سبيل تحرير أرضه وإقامة دولته المستقلة. وفي هذا السبق أصدرت لجنة القدس توصياتها وقراراتها المعروفة في توافق وانسجام مع القرارات الدولية الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي شجبت الاحتلال للقدس واستنكرت تغيير وضع المدينة ودعت إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة لتهويدها.

كما عملنا بموازاة ذلك على إحداث بيت مال القدس الذي أشرفنا بنفسنا على وضع كل آلياته القانونية والتنظيمية ليكون مؤسسة ساهرة على تحقيق ما رسم لها من أهداف غير مدخرين أي جهد في سبيل إشعار المجتمع الدولي بالمخاطر التي تتهدد القدس الشريف واصلين حبل الاتصال في هذا الشأن بيننا وبين قداسة البابا يوحنا بول الثاني، مؤكدين في كل مناسبة تسنح لنا بمناسبة انعقاد اجتماعات لجنة القدس أو في غيرها أن الحفاظ على هويتها هو قضية العالم الإسلامي والعالم المسيحي على حد سواء وأن التهويد الذي يطال المؤسسات الإسلامية ويمزق أوصال الكيان الاجتماعي الإسلامي يطال بصورة أخرى الكيان المسيحي.

لذلك نعتبر أن تخصيص دورة أكاديمية لمطارحة الآراء حول هذا الموضوع بمشاركة أعضاء من الاتحاد البرلماني العربي فرصة للنظر إلى هذه

القضية من زوايا مختلفة لتعميق الوعي بها باعتبارها تتطلب المزيد من تنوير الرأي العام الدولي لكل وسائل الإعلام الممكنة وبكل أشكال التعبير والتبليغ المتاحة لإيقافه على جوانب هذه القضية التي لاتخص المسلمين وحدهم وإنما تهم كل أتباع الديانات السماوية والمنشغلين بمصير التراث الإنساني والحضاري الذي تدخره القدس على مدى الخمسة آلاف سنة المنصرمة.

حضرات السادة،

إن هذا التاريخ المديد للقدس الذي يمثل التاريخ الإسلامي ربعه على الأقل إذا قرئ بموضوعية وتجرد، فإنه يوقفنا على أن هذه المدينة كانت بالفعل فضاء التقاء وتعايش بين الأديان والحضارات والشعوب السامية وانه لمن حقائق هذا التاريخ الذي كتب بلغات متعددة وبموضوعية أن التعصب الديني والنزعة العدوانية للاستئثار بالهيمنة على المدينة لصالح طائفة دينية واحدة كانا مصدر الأزمات والنكبات التي منيت بها القدس. كما يشهد هذا التاريخ أن المسلمين وحدهم كانوا رمز التسامح واحترام أهل الكتاب والعمل بروح التنصف. وعلى سبيل المثال فالمسلمون هم الذين رفعوا الحظر الذي كان مفروضا من دولة بيزنطة على دخول اليهود إلى القدس طوال القرن السابع الميلادي. كما رفعوا نفس الحظر الذي كان مفروضا عليهم خلال حكم الصليبيين لبيت المقدس على مدى القرن الحادي عشر الميلادي.

وهكذا سجل التاريخ ان المسلمين هم الذين فسحوا المجال أمام استيطان اليهود لبيت المقدس خلال القرنين المذكورين فضلا عن أنهم آمنوا طرق الحج للنصارى إلى هذه المدينة وإن سلوك المسلمين هذا تجاه أهل الكتاب من نصارى ويهود ظل سلوكا واحدا عبر العصور لأنه نابع من عقيدة الإسلام نفسها التي تعتبر الرسالات السماوية دينا واحدا وإن تعددت

شرائعه. فالله تعالى يقول في محكم تنزيله: "كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله".

وبهذا الإيمان الملزم ارتقى المسلمون إلى المستوى الرفيع في تحقيق التسامح والاحترام لأهل الأديان الكتابية، هؤلاء الذين وجدوا في ظل الحكم الإسلامي ما يدل فعلا على الالتزام. وإن خير دليل على هذا التسامح لهو بقاء التعددية الدينية في القدس الشريف التي حكمها المسلمون على مدى الأربعة عشر قرن. إذ لو اختار خلفاء المسلمين وأمراؤهم منذ البداية خطة كالخطة التي اتبعها فرناندو وايزابيلا في إسبانيا للقضاء على المسلمين نهائيا ومحو آثارهم، أو كالخطة التي اتبعتها دول أوروبية أخرى ضد اليهود في فترات من التاريخ الحديث، لما بقي في بيت المقدس أثر لكنيسة أو بيعة أو لساكنة من اليهود والنصارى. ويقال نفس ذلك بالنسبة للبلاد الشرقية التي حكمها المسلمون وكانت الطوائف المسيحية الاورثودوكسية تستوطنها فظلت محتفظة بهويتها الى اليوم، وظل المسلمون يحمونها من تعصب الطوائف المسيحية الأخرى في فترات معروفة من تاريخ الصراع بين الكنيستين.

وهذه حقيقة تاريخية لا تنيل المناقشة. والمؤرخون اليهود أنفسهم يشهدون على أن طوائفهم وجدوا في ظل الحكم الإسلامي الأمن والاحترام اللذين لم يجدوا لهما أثرا خارج البلاد الإسلامية على مدى عصور من التاريخ حتى ان بعض هؤلاء المؤرخين أقروا بأن اليهود عاشوا سواسية مع المسلمين في القدس الشريف متمتعين بشبه استقلال ذاتي أو مشتركين في مجالس الشورى أو موظفين في إدارات الدولة ودواوينها في فترات معينة من التاريخ، بل أن هذا التاريخ يذكر أن من أمراء المسلمين من قام بإعادة بناء بعض الكنائس بعد هدمها فضلا عن السماح ببناء أخرى في ظل الحكم

الاسلامي كما يذكر أن أحد وفود الامبراطور شارلمان إلى بيت المقدس قدم مفاتيح كنيسة القيامة والقبر المقدس إلى المسلمين ثقة في التزامهم بصيانتها وتوفيرها وإن الخليفة هارون الرشيد سمح لهذا الامبراطور ببناء كنيسة العذراء بالمدينة. فلا غرابة إذن أن نجد النصارى واليهود يفوضون للمسلمين أحيانا رعاية معابدهم وصيانتها. فقد تولت إحدى الأسر المقدسية المسلمة خدمة مقام النبي دوواد منذ أوائل العهد العثماني كما يشهد بذلك أحد فرمانات السلطان سليمان القانوني.

حضرات السادة،

هكذا نجد التاريخ يشهد بنسب مختلفة على أن القدس في ظل التاريخ الإسلامي فضاء لاحترام الديانات السماوية وأهلها وفضاء لثقافة وحضارة مشتركة. غير أن هذا الفضاء قد عرف في عصرنا هذا تحولا جذريا بالدخول في منعطف تاريخي ينذر بواحدة من تلك النكبات القديمة التي تجاوزها التاريخ الإنساني المعاصر وأصبح الفكر الإنساني يمجها باعتبارها من مخلفات عصور مظلمة.

وإذا كان المغرب قد ضرب المثل على ذلكم التعايش والاحترام المتبادل بين أهل الأديان السماوية وأن ملوكه عبر العصور اعتبروا اليهود رعية لأمير المؤمنين يؤمن لهم ما يؤمن للمسلمين من أمن وكرامة، فإن السلطات الإسرائيلية عند احتلالها للقدس سنة 1967 قد قامت بنسف حي المغاربة وتسويته بالأرض بعد ثلاثة أيام من الاحتلال فقط، وهذا المثال لم نورده إلا على سبيل الإشارة إلى ما يكنه المتطرفون من اليهود من بغضاء وتنكر للقيم الدينية السماوية وكرمز أيضا الى ما حدث لسكان القدس من المسلمين ويحدث لهم كل يوم جزاء على تسامحهم ومواقفهم الأخلاقية نلقدس الشريف بداية تحويل اتجاه ريح المشرق بالنسبة لهذه المدينة من فضاء للقاء

الأمن المطمئن بين الأديان والطوائف الى فضاء مشحون بالتوتر والمنابذة بالعدوان. وعلى الرغم من هذه السياسة الإسرائيلية التي رهنت حاضر القدس بالتهويد والاستيطان غير المشروع والاستهتار بالقرارات الدولية، فلا ينبغي لنا كقادة سياسيين أن نيأس من العودة الى الحوار للوصول الى تحقيق سلام عادل ودائم تلتزم به جميع الأطراف المعنية ويسترجع الشعب الفلسطيني حقه المشروع في جعل القدس عاصمة لدولته المستقلة. فالتاريخ يعلمنا أن كل أشكال الهيمنة والغطرسة وإحلال منطق القوة محل منطق العدل والإنصاف تظل سهزوزة متداعية للزوال بفعل النضال المشروع والكفاح المستميت في سبيل القضاء عليها. وإن النصر حليفها لا محالة اذ لا يصمد في النهاية أمام متغيرات التاريخ الا ما يقوم على المشروعية ويجنح الى السلام ويوتر التعايش الامن بين الطوائف والجماعات على العيش في خنادق المواجهة والصراع.

بهذا الأمل في استرجاع المشروعية والتطلع الى الإنصاف الذي ينبغي أن يهيمن علينا في كل لقاء، أدعوكم الى مناقشة موضوع هذه الدورة متطلعين الى تسليط المزيد من الأضواء على كل جوانبه واقتراح السبل الكفيلة بإحلال التواصل محل القطيعة والتوافق محل التخالف، معتقدين ان تعايشا حقيقيا بين ساكنة القدس ونشر ثقافة التسامح والحوار بينها بعد تخويل الشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة سيكفل لمدينة القدس مستقبلا آمنا تشترك في بناءه سواعد الجميع كما تحقق ذلك في الماضي.

وفي عالم مثل عالمنا الذي قويت فيه عوامل الصراع العرقي والثقافي بفعل الاثرة وتحكيم منطق القوة نجد أنفسنا أحوج ما نكون الى العقلانية والتسامح والتناصف وتعبئة النفوس بفضائل القيم الدينية السمحة. وان على رجال الفكر والدين في كل مكان بالنسبة لكل الأديان السماوية أن

يطلعوا بمسؤولياتهم في هذا المجال معبئين وسائل الإعلام في التصدي للثقافة العنصرية ولدعوات التطرف الديني التي يمثل بعض اليهود أشدها شططا ويحلوا محلها ثقافة الحوار وتصحيح المفاهيم التي يشيعها الإعلام المنحاز لاسرائيل لأن الإعلام في عصرنا اول وسائل النضال والعمل المشروع.

فهذه إحدى المهمات المنوطة برسالة الفكر الذي تمثلونه والتي ستعزز على أفضل وجه ممكن عمل القادة السياسيين الذين يسعون كما نسعى الى إرساء دعائم السلم والمشروعية في القدس الشريف. وباعتبارها جزءا من الضفة الغربية المحتلة، وإن هذا الاحتلال لا يؤسس أي حق في الهيمنة عليها فضلا عن تهويدها والقضاء على هويتها العربية والإسلامية.

وفقكم الله ورعاكم وألهمنا وإياكم السداد في القول والعمل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.